## القيادات الاجتماعية :
## وأثرها في الحفاظ على قيم المجتمع وأخلاقه
## محاضرة في النادي الأدبي في الجوف
## ١٤٣٦/١/١٧هـ ٢٠١٤/١١/١٠م

**الأخلاق:**

**لعلنا** نبدأ بوصف الله لنبيه ( وإنك لعلى خلق عظيم )

**وببيت شوقي :**

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإنهموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

بحث الفلاسفة منذ القدم مقومات الأخلاق ، فجعل بعضهم الأديان مقوما اخلاقيا ، وجعل اخرون التربية الصالحة والبيئة السليمة مصدرا من مصادر الاخلاق ، وعزا فريق ثالث الاخلاق إلى الثقافة والتربية والتعليم ، و ميز هذا الفريق بين طبقات البشر ومستوى الحياة التي يعيشها الناس ، وجعلها فريق رابع فطرة وجبلة يجبل الإنسان عليها ، ولم يعوز كل فريق وضع دليل على ما يذهب إليه ، يقوم دليله أحيانا على الملاحظة والاستقراء ، وأحيانا على التجربة والابتلاء ، كما تقوم بعض أدلة هؤلاء على تحولات عظيمة فكرية وسلوكية حدثت في تاريخ البشرية ، ومع التطور المادي والتغير الحضاري يصيب نظام الحياة تغير يضعف العمل بالأخلاق والقيم أو ينشرها ويقويها .

**أما القيمة فتؤدي في أصل وضعها** مدلولا لما ينشأ بين الناس من معاملات تتعلق بالأخذ والعطاء والبيع والشراء والعوض ، و كل ما يجري بين الناس مقدر بقيمة ، هذا الاصطلاح اللغوي ، إلا أن المعنى المجازي أصبح أعم وأشمل ، وأصبح يعبر عن معان مجردة تحمل دلالات واسعة تتصل بالأخلاق والعادات والمعاملات ، وهي مرتبطة بنظرة



www.mtenback.com

الناس إلى السلوك وتقويمه وقبوله أو رفضه ، وقد انتقلت القيمة من معناها اللغوي ( الثمن ) إلى المعنى المجرد حيث لا يحددها إلا السياق حين يأتي متضمنا كل سلوك تحكمه مقومات سليمة يقدرها المجتمع ويحترمها ويثمن صاحبها معنويا .

وانتقال مصطلح القيمة من الدلالة اللغوية المحدودة إلى الدلالة المعنوية الواسعة قديم حتى صار الإنسان قيمة بذاته ابن طباطبا:

**فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه**

وفي الأثر **(قيمة كل أمرئ ما يحسن)** .

وقد لا يخفى ما يحمله هذا القول من دلالة ، شخصت المرء في عمله وقومته بما يقدم لمجتمعه فتكون قيمته في مجتمعه أغلى وأعلى . والقيمة في هذه الحال معيارية ومن الطبيعي أن تكون مقدرة بقدر الندرة أو القلة ، والندرة ترفع بالضرورة قيمة الشيء النادر ، ولو افترضنا مثلا يقرب هذا المعنى بشيئين لا يختلف الناس على قيمة كل منهما : الأول الذهب ، والثاني الماء ، فكل إنسان يعرف أن أغلى ما يوجد على الأرض وفي أذهان الناس هو الذهب ، وبالتالي فإن قيمته معيارية للعلو والارتفاع ، وكل مباع أو قنية تقديره المعادل هو الذهب عند الناس بل حتى على مستوى الدول وبيوت المال والبنوك حيث يعطى اقتصاد الدولة معادل هو ما يعرف بغطاء الذهب الذي يحدد قيمة الاقتصاد لهذه الدولة أو تلك .

وفي مقابل هذه القيمة المتفق على علوها نجد الماء أرخص شيء ، فلا يستطيع أحد أن يزعم أن الماء ذو قيمة ، وما عرف في تاريخ الحضارات وثقافتها إلا أنه من المشاع الذي يملكه الناس كافة لذلك هانت قيمته وقلت .

لكن لو سار رجل يحمل مليونا من الذهب في مجاهل الصحراء وانقطعت به الطريق واشتد ظمؤه ، ووجد وهو في آخر رمق من الحياة من يبيعه دلو من الماء بمليون من



www.mtenback.com

الذهب لدفعه إليه .إذن القيمة ليست مطلقة في الأشياء وإنما تحددها الحاجات إليها .هذا في الجنسين المختلفين ، الذهب والماء.

**وكذلك في الجنس الواحد:**

تروي الأخبار أن أبا دلامة الشاعر العباسي مدح الخليفة فوعده بمئة جريب عامرة ومئة جريب غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين فقال غير معمورة فرد الشاعر ،و أنا أمنحك ألف جريب غامرة في ديار بني أسد ، فالمعطى هنا جنس واحد ليس كالماء والذهب ، لكن اختلفت القيمة باختلاف النفع الذي يجريه العرف بين العامر والغامر .

**تعليق.(١)**

**عندما نتحدث عن القيادات الاجتماعية** وعن أهميتها في المجتمع يتبادر إلى الذهن القيادات السياسية ، أو حتى القيادات الدينية الرسمية ، ولا أظنه سيخطر على البال غيرهما، وهذا صحيح إلى حد ما ، لأن الناس في هذا الوقت تعودوا وجود هاتين القيادتين واتصالهما في الحياة العامة والخاصة ، ولا يستقيم أمر مجتمع إلا بهما ، ولكن لن يكون الحديث هذه الليلة عنهما ، سيكون الحديث عن **قيادات اجتماعية أخرى** ، لا تقل أهمية عنهما ، ولا يقل أثرها عن أثر القيادات السياسية والدينية . **تلك القيادات** التي أعني **هي قيادات الحرة** لا يربطها بالناس رابط رسمي ولكنها تستمد روابطها من رضا الناس عنها ومن اعترافهم بفضلها ومن قبولهم لها ، كل ذلك يبنى على قيم مرضية وعلى خلق وسمعة حسنة بين الناس .

**هذه القيادات هي التي** تدير التوازن في حركة المجتمع ومسيرته لأن لديها مساحة غير محدودة من التواصل الدائم مع الناس ، غير تلك التي تربط الناس بالقيادات الرسمية والسياسية ، هذه القيادات الاجتماعية الحرة تحافظ على القيم الفاضلة والأخلاق المحمودة وتضبط السلوك العام . حيث يختارها المجتمع من داخله ولا تفرض عليه من



www.mtenback.com

السلطة الرسمية ، وقد أدرك الناس منذ القدم أهمية أهل الفضل وادركوا نجاح المجتمع كله وسلامته إذا سمع لهم واطاع ويكفي أن يقول الرسول ص ( **الناس معادن وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**). بل إن فضلهم قد أدرك أولادهم من بعدهم فأكرم **سفانة** ابنة حاتم (**لأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق**) وحتى من حاربه وقاتله دافع عنهم ومنع النيل منهم وقال كلمته المشهورة (**أولئك الملاء من قريش** )

**وفي إدارة المجتمع الصالح يقول الشاعر** القديم الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الفضل ما صلحت وإن تولت فبالأشرار تنقادوا
إذا تولى سراة القوم أمرهم نما على ذاك أمر القوم وازدادوا

منذ القدم احتاجت المجتمعات البشرية إلى القيادات الراشدة التي تدير شؤونها وتنمي فيها قيما أخلاقية وفضائل إنسانية عالية تتفق الشعوب على احترامها وتؤمن بدورها وترجع إليها عند الأزمات والملمات المحيطة بها.

**تعليق (٢)**

ومع التطور التاريخي تنازع إدارة **المجتمعات ثلاث فئات** :

**القيادات الاجتماعية** الراشدة التي نتحدث عنهم في هذا المساء ، ورجال الدين ، ورجال السياسة، ولم تلغ أي فئة دور الفئة الأخرى حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما انتصرت الديمقراطية وسادت قيمها المجتمع فأزالت جبروت السياسيين وطغيان رجال الدين وأضعفت دور القيادات الاجتماعية التقليدية ، ولكنها عوضت عن ذلك أن جعلت الناس كافة يديرون شؤونهم ويختارون من يثقون به ويكلون إليه أمر قيادتهم لمدة محددة أربع سنوات ، خمس سنوات ، سبع سنوات ، ولا يزيدون عن ذلك في الغالب . وفي هذا النظام حلت جمعيات المجتمع المدني المنظمة للسلوك الداخلي محل القيادات القديمة



www.mtenback.com

فكانت الجمعيات الحقوقية والنقابات المهنية والأحزاب السياسية هي التي تضبط نسق الحياة وحراك المجتمع وتفرز في عملية مستمرة دائمة قيادات جديدة يختارها الناس بشكل ديناميكي فاعل لا ينظر إلا لكفاءتها وقدرتها ودعم المؤسسة التي ينتمي إليها وتزكيتها له كان **ساركوزي رئيس فرنسا** السابق بن مهاجر من أروبا الشرقية ورئيس أمريكا ابن رجل افريقي أسود لأن حاضنة كل منهما مجتمع يقدر كفاءة المرء وقدرته وليس خنوعا لجبروته وسلطته.

**تعليق (٣)**

. . **هذا جزء من العالم** وهو الأغلب والأعم أو العالم الأول .

**أما الجزء الآخر من العالم**: وما يهمنا منه هو العالم العربي فلم يرتض الديمقراطية منهجا ولم يأخذ بأسبابها ولم يستطع الإبقاء على تراتبية المجتمع القديم الذي تقوده قيادات شعبية مستقلة كما كانت في الماضي .

والسبب أن العالم العربي المعاصر خرج إلى مفهوم الدولة بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان قبل ذلك ضمن إطار الخلافة العثمانية مع شعوبها وجنسياتها وأديانها وضمن المساحة الكبيرة الواسعة التي جمعت أمما وأجناسا شتى ولم يكن له دولة ولا شأن ولا كيان ، وبعد الحرب العالمية الاولى انتقلت ولايته إلى المستعمر الأجنبي واستمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، في هذين العهدين كانت السلطة المركزية شكلية إلى حد كبير وكانت المدن والقرى والقبائل والأرياف تدير شؤونها الداخلية بشكل يجعلها لا تشعر بقوة السلطة الحاكمة بل أحيانا لا تشعر بوجودها ، وتعود في قضاياها وأحكامها وأعرافها إلى قياداتها المحلية فيحتكم الجميع إلى القيم الأخلاقية والأعراف وإلى التقاليد التي يلتزم بها الجميع ويحترمونها وقد التفت المجتمعات حول من يبرز من أبنائها وأخذت برأيهم وصار في كل قبيلة وفي كل مدينة وفي كل قرية نخبة من أهل الحكمة وأهل



www.mtenback.com

الرأي ومن يسمع له ويطاع وعرف رجال وأسر حافظوا على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده و عملوا على تماسكه وترابطه على كل الأحوال وفي الأزمات والكوارث يلتف الناس حولهم ويكون لهم قول يسمع ، ورأي يطاع .

**تعليق (٤)**

**الدولة الحديثة :**

لكن عندما نزع المستعمر أوتاده من الوطن العربي نهضت حكومات محلية قادها في أكثر الحالات رجال من عامة الناس ومن أطراف المجتمع ولم يكونوا من أهل الشأن فيه ، ولا من أهل العلم ولا أهل التجربة والمعرفة ولا من أهل الكفاءة والقدرة وكان سبيلهم إلى السلطة القهر والغلبة وكانت الانقلابات العسكرية أقواها وأقساها حيث عملت على **تفكيك بنية المجتمع التقليدي** وألغت التراتبية التي كانت موجودة من قبل

وأصبح الفرد أمام سلطة مباشرة دون حماية اجتماعية له كفرد أو لمصالح المجموعة ككل. وأوجد هذا الحال والتسلط ، عدد أفراد وليس مجتمعا متماسكا وواجه الفرد مصيره أمام السلطة وحده فلم يكن له رأي يؤثر ولا قوة تمتنع .

وهنا نشأت الفردية والذاتية بكل سلوكياتها الضارة وسلبياتها ومنها الاتكالية والبحث عن الكسب السهل والقناعة بالقليل والاعتماد على الغير و طلب الشفاعة و الواسطة حتى فيما هو من حقه وما يستطيع الحصول عليه بجهده وكده ، ذابت كتلة المجتمع وتشظا كيانه وتشتت ولاءاته وانطبق عليه قول الأول :

**وإذا أراد الله ذل قبيلـــــــــــــة رماهـا بتشـتيت الهـوى والتخـاذل**

**أضرب مثلا** من التاريخ عندما اختلف الحجاج بن يوسف بعد ثورة ابن الأشعث لام تميما على موقفها ومن عليها بقوله



www.mtenback.com

**وساد النظام المتسلط المستبد**

وعندما انكشف غطاء النظام الاستبدادي عن بعض الشعوب مثل العراق واليمن وليبيا والشام والسودان والصومال ظهر عجزه وعدم قدرته على مواجهة الأزمات والكوارث الطارئة وتشرذم سريعا وذابت كتلته في عصابات وفئات وجماعات ينحر بعضها بعضا ويلعن بعضها بعضا.

وصدق فيهم قول الشاعر :

**وتفرقوا شيعا فكل مدينة فيها أمير المؤمنين ومنبر**

**تعليق (٥) تونس ومصر مثال مختلف**

**تعليق (٦) مضار الغنى والفقر .**

**أما البلاد التي لازالت** سلطاتها قائمة وأمنها متماسك ففي وضعها اتفاق في بعض ما ذكرنا سالفا ، واختلاف في بعض الأحوال منها

الثروة الريعية الناجزة التي أتت بلا جهد ولا تدبير وإنما هي هبة من السماء تفجرت عنها الأرض ، فأحدثت في الناس ما تحدثه الثروة في غير أهلها ، التنافس على الكسب غير المشروع ،الاستغلال القبيح للمال ، التكاثر فيه والتكالب عليه ، من فئة قليلة مكنها وضعها من الوصول إلى المال العام فأساءت استخدامه ، فانتشر الفساد والرشوة ونشط السماسرة وتضخمت المكاسب غير المشروعة ، وزاد الاستهلاك وقل الترشيد والادخار واستشعر بعض الناس وهم الثروة والغنى . وإن كانوا صفر اليدين منها .

هناك غير ما ذكر تحولات وأسباب لا بد من أخذها بالاعتبار .

**أولها :**

نمط الحياة المعاصرة وعدم ثبات الناس في مكان واحد كما كان الحال من قبل أضعف اللحمة بين الناس .



www.mtenback.com

**الثاني :**

**الهجرة من الأرياف والمناطق إلى المدن الكبيرة وعدم** تجانس القادمين إليها من مناطق شتى .

**الثالث :**

قلة الوقت حيث يكون الإنسان مشغولا في وظيفته وعمله ولا يجد وقتا ولا فراغا للعمل التعاوني المشترك .

هذه الأسباب وغيرها

**هذا بعض دائنا فما دواؤه ؟:**

**قناعة وليست طاعة**

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com



www.mtenback.com